الأنماط المعمارية والزخرفية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول (1551م – 1711م)

محمد مصطفى الخازمي
جامعة المرقب، قسم الآثار الإسلامية، ليبيا

ابوراوي مصطفى المرخية
جامعة المرقب، قسم الآثار الإسلامية، ليبيا

استلمت الورقة بتاريخ 2026/05/09، وقبلت بتاريخ 2026/07/27 ونشرت بتاريخ 2026/07/28

الكلمات المفتاحية:
الأنماط المعمارية والزخرفية - المساجد - العهد العثماني الأول - مدينة طرابلس القديمة - اللوحات التأسيسية.

الملخص

إن مساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول لها أنماط معمارية، وزخرفية متميزة، وذلك من خلال تصميمها المعماري، والتنوع الزخرفي لها، والهدف من هذه الدراسة هو تحليل الأنماط المعمارية والزخرفية للمساجد بمدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول، ومدي تميزها المعماري، والفني حيث ظهرت علي عناصرها المعمارية زخارف نباتية، وهندسية وخطية، نفذت جميعها على الحجر، أو الرخام أو الجص بالإضافة إلى وجود عدد من اللوحات التأسيسية التي تعلوا المداخل، وهي تحمل العديد من التفاصيل التاريخية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية لتلك الفترة، واتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، ومن أهم النتائج في هذه الدراسة هو تحديد الأنماط المعمارية والفنية لمساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة، وكذلك تصحيح بعض نصوص اللوحات التأسيسية التي ذكرت من قبل المؤرخين، وتساهم هذه الدراسة في تزويد البُحاث وطلاب كليات الآثار، وكليات الفنون، والهندسة المعمارية، بأهم وأبرز الحقائق حول الأنماط المعمارية والفنية لمساجد العهد العثماني الأول.

المقدمة

تعتبر مساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة معرضا متنوعا للعديد من الأنماط المعمارية والزخرفية، وقد قام المؤرخون بتقسيم العصر العثماني في ليبيا إلى ثلاثة عهود وهي: العهد العثماني الأول (1551م-1711م)، والعهد القرمانلي (1711-1835م)، والعهد العثماني الثاني (1835م-1911م) وامتد العهد العثماني الأول حوالي 160عاماً، ويعتبر مراد آغا هو أول والي على طرابلس خلال هذا العهد وهو قائد عسكري حيث أبدى شجاعة قوية أثناء حروبه ضد فرسان القديس الذين كانوا يحكمون طرابلس قبل العهد العثماني الأول، وتوالى على حكم العهد العثماني الأول حوالي 41 واليا أولهم هو مراد آغا (1551-1553م)، وأخرهم هو الوالي محمود ابو مويس داي (1710م-1711م) [1] وهذا يعطينا يقينا بأن فترة حكم العهد العثماني الأول كانت مليئة بالاغتيالات والقتل وعدم الاستقرار.

تعتبر العناصر المعمارية والزخرفية لها الدور البارز في تحديد وتشكيل نوع البناء لأي مَعْلَمْ إسلامي، وبالتالي تضفي هذه العناصر على المبنى لمسات من الجمال الفني وتكسر الجمود على المبنى، وتكمن تلك الأنماط المعمارية في المآذن وشكلها، ونظام التسقيف للمساجد سواء كان قبة مركزية أو قباب أو أقبية، وشكل بيت الصلاة، والعقود وأشكالها المعمارية، أما الأنماط الزخرفية فتتمثل في الزخارف النباتية والهندسية والكتابية بالإضافة لزخارف بلاطات القاشاني، والزخارف الحجرية والرخامية، ومن المرجح إن سبب هذا التنوع في الأنماط المعمارية والزخرفية راجع إلى الفتوحات الإسلامية إلى ليبيا، وهجرات الأندلسيين التي كانت متوالية إلى شمال افريقيا وخاصة بعد هزيمة المسلمين في الأندلس سنة 1492م، وطرد المسلمين منها، وكذلك سيطرت الأتراك العثمانيين على منطقة الشام وشمال افريقيا، ومما لاشك فيه فقد كان لتلك الهجرات الآتية من الشرق العربي الإسلامي عن طريق الأتراك العثمانيين، ومن الغرب الإسلامي عن طريق الهجرات الأندلسية لاسيما علاقات ليبيا مع تونس التي كانت ولازالت مزدهرة بين الجانبين فكل تلك العوامل ادت إلى ظهور هذه الأنماط المعمارية والزخرفية للمساجد العثمانية خلال العهد العثماني الأول في مدينة طرابلس القديمة.

المشكلة البحثية

إن الأنماط المعمارية والزخرفية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول لها زخارف معمارية وزخرفية متنوعة منها الزخارف الرخامية والحجرية، وتلك الزخارف كانت إما غائرة أو بارزة، بالإضافة إلى ظهور بلاطات القاشاني ذات اللون الواحد أو المتعدد الألوان، وظهرت على بعض مساجد العهد العثماني الأول لوحات تذكارية أو تأسيسية تعلو المداخل الرئيسية وبالتالي كُتبت بخط الثلث المغربي وضمت العديد من الأحداث التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، هذا وتتعرض تلك الأنماط المعمارية والزخرفية لخطر الطمس والتشويه سواء كانت من خلال العوامل الجوية أو العوامل البشرية ، ومما زاد من أهمية الدراسة والتوثيق والتسجيل لهذه العناصر الزخرفية والمعمارية هي الصراعات والاشتباكات المسلحة التي تتعرض لها ليبيا منذ سنة 2011م، والذي أدى إلى فقدان العديد من القطع الأثرية من المتاحف الليبية، وتدمير بعض من المواقع الأثرية، وخوفا من ضياعه واندثاره وجب علينا تسجيله وتوثيقه بشكل علمي.

aborawi1977@gmail.com

تتعين مشكلة البحث في عدم شمولية الدراسة والتحليل للأنماط المعمارية والزخرفية؟، وكذلك لم يتم التركيز عليها بشكل معمق ومنفرد؟ ولم تفرد للأنماط المعمارية والزخرفية لمساجد العهد العثماني الأول مساحة كافية ووافية لتصنيفها، وتفسير خصائصها المعمارية والزخرفية؟ والكشف عن دلالاتها الحضارية وعلاقتها بالبيئة المحلية الليبية.

أهداف البحث

1- تحليل الأنماط المعمارية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول.

2- توليف الأنماط الزخرفية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول.

أسئلة البحث

1- ماهي الأنماط المعمارية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول.
2- كيف يمكن توليف الأنماط الزخرفية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول.

منهجية البحث

لقد اتبعنا نوعين من مناهج البحث العلمي في هذه الدراسة وهما: المنهج الوصفي التحليلي في شرح وتحليل الأنماط المعمارية والزخرفية لمساجد العهد العثماني الأول من حيث انواع الزخارف، والكتابات التي ظهرت على اللوحات التأسيسية، والمنهج التاريخي في تحديد زمن المساجد وانماطها المعمارية والزخرفية، بالإضافة إلى الزيارات الميدانية المتعددة التي قمنا بها لهذه المساجد للوقوف على صحة ما ذكر في كتب المؤرخين والبُحاث.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من البحوث والدراسات العلمية حول العمارة الإسلامية وخاصة عمارة مساجد المدينة القديمة بطرابلس إلا أن الدراسات التي تتعلق بالأنماط المعمارية والزخرفية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول لم تحظ بالدراسة والتحليل والظهور لحيز البحث العلمي ولم يتم التركيز عليها بشكل عميق ففي دراسة للدكتور عادل المبروك الفار بعنوان" مساجد القبيبات بمدينة طرابلس القديمة (ليبيا) في العهد العثماني الأول (2001) وهي رسالة ماجستير غير منشورة جامعة اليرموك فقد تطرق لنشأة مساجد القبيبات وتطورها وتحدث عن مكونات مسجد القبيبات الإنشائية والزخرفية إلا أنه لم يتناول الملامح والأنماط المعمارية والإنشائية التي تتميز بها مساجد العهد العثماني الأول.

كما هناك دراسة أخري للبروف علي مسعود البلوش بعنوان" تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1551-1911" وتعد هذه الدراسة كاملة ووافية لنشأة ونمو وتطور أنماط المساجد الليبية خلال العصر العثماني فقط تناول النظام السياسي والإداري في ليبيا في العهد العثماني، والخلفية المعمارية لليبيا في الفترات السابقة للعهد العثماني، وركزت الدراسة على مساجد المدينة القديمة بطرابلس وقد قسمت الدراسة المساجد إلى عدة أنواع بحسب عدد القباب مساجد القبة الواحدة، ومساجد الأربع قباب، ومساجد الست قباب، ومساجد التسع قباب، ومساجد الأكثر من تسع قباب، والمساجد المسقوفة بأقبية أو مسطحة، ثم عرج على الزخارف في معمار المسجد الليبي وأسهب في ذلك من حيث تخصصه الدقيق بالفنون الزخرفية إلا أن هذه الدراسة لم تفرد للأنماط المعمارية والزخرفية لمساجد العهد العثماني الأول مساحة كافية ووافية لهذا العهد وإنما جاء الحديث عنها ضمن دراسة مساجد المدينة القديمة بطرابلس ونوعية وعدد القباب لها.

إن دراسة الباحثين أبوراوي المرخية ومحمد الخازمي بعنوان" المسجد الليبي بين الأصالة والتأثير خلال العصر العثماني في ليبيا مدينة طرابلس القديمة وضواحيها أنموذجا(2024) فإن هذه الدراسة تطرقت لخمسة عشر مسجدًا، والهدف منها هو توليف مدى أصالة العناصر المعمارية والإنشائية للمساجد الليبية بمثيلاتها في المساجد العثمانية، وخلصت الدراسة إلى عدم وجود تأثير مباشر بين عمارة المساجد العثمانية وعمارة المساجد الليبية المحلية حيث إن كل طراز مستقل بذاته وبخصائصه المعمارية، وإن وجد تأثير فإنه يكون بنسبة قليلة وغير مؤثرة على المفاهيم التي قامت عليها هذه المساجد، ومن خلال ماسبق من الدراسات فلم تدرس الملامح المعمارية والإنشائية لمساجد العهد العثماني في ليبيا بالرغم من تميز عناصرها المعمارية وتفاصيلها كالمآذن، والقباب، والعقود، و بيت الصلاة، وكذلك تفاصيل الزخرفة النباتية والهندسة، وتتويجًا بالزخارف الكتابية واللوحات التأسيسة لمداخل المساجد ونوع الخطوط المنفذة عليها وهذا ماركزنا عليه في هذه الدراسة.

1. الأنماط المعمارية لمداخل المساجد بمدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول

إن المساجد في مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول ذات أنماط معمارية متنوعة ومتميزة، وتتسم هذه المساجد بالبساطة في البناء، والتميز في الأسلوب الإنشائي، والتركيز على العناصر الأساسية لعمارة المساجد [2] حيث تتميز بتنوع بناء شكل المآذن، ونظام التسقيف لبيت الصلاة حيث تم تغطية بيت الصلاة لهذه المساجد بواسطة القباب الصغيرة، كذلك اختلفت أنواع العقود والأعمدة داخل مساجد العهد العثماني الأول، وتضفي تلك الأنماط المعمارية جمالية رائعة على المساجد في المدينة القديمة بطرابلس [3].

أ. المآذن:

تعد المآذن من أهم مميزات العمارة الإسلامية وهي من دلالات المساجد[4] واتسمت المآذن خلال العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة بالبساطة في البناء وقلة الزخارف عليها، [5] وتنوعت أنواع المآذن شكل (1) بين المربعة الشكل، والأسطوانية، والمضلعة، ومآذن السلم، [6] فالمئذنة المربعة ظهرت في جامع الناقة فقط الذي بني في عهد صفر داي 1019هـ -1610م، حيث بنيت بالجهة الشمالية، وبلغ ارتفاعها 10أمتار، أما المئذنة الأسطوانية فقد وجدت في جامع سالم المشاط 1080هـ -1670م، وبنيت في الجهة الجنوبية الغربية، وبلغ ارتفاعها حوالي 19.60م، وفي جامع درغوث باشا1013هـ -1604م، فبنيت المئذنة منفصلة عن المسجد في الجهة الغربية وبلغ ارتفاعها حوالي 25.50م، وكذلك جامع محمود خازندار 1091هـ -1680م، فقد بنيت في الركن الشمالي الغربي وبلغ ارتفاعها حوالي 22.30م، بينما ظهرت المئذنة المضلعة في نموذج واحد فقط وهو جامع شائب العين فقد بلغ عدد اضلاع البدن ثمانية، وقد بنيت في الجهة الغربية من المسجد، وبلغ ارتفاعها حوالي 20م [7]

(أ) مئذنة جامع الناقة (ب) مئذنة جامع درغوث (ج) مئذنة جامع شائب العين

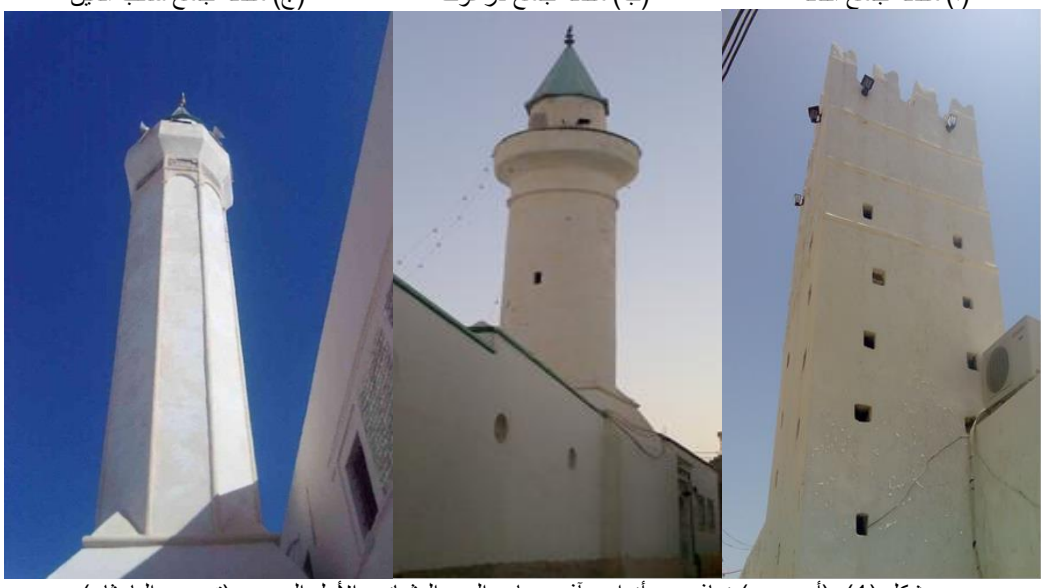

شكل (1): (أ- ب- ج) نماذج من أنواع مآذن مساجد العهد العثماني. الأول المصدر (تصوير الباحثان).

جدير بالذكر إن مئذنة السلم ظهرت في عدة مساجد خلال العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة ومنها جامع الدروج الذي بني في القرن11هـ - ق17م، فقد بنيت المئذنة في الركن الشمالي الغربي ولها برج مضلع الشكل، وبلغ ارتفاعها حوالي 5.40م، وكذلك جامع بن مقيل الذي بني في القرن 11هـ - 17م، فقد بنيت مئذنته في الركن الشمالي الغربي ويتوج المئذنة برج مثمن صغير الحجم، بينما جامع بن صوان الذي بني في القرن 11هـ - 17م ظهرت فيه مئذنة سلم فقط ولا يوجد في أعلاها برج وبلغ ارتفاعها حوالي 3.50 امتار بنيت بالجهة الغربية، في حين ظهرت ثلاثة مساجد لا تحتوي على مآذن وهي جامع النخلي الذي بني في سنة 1653م، وجامع بن نور الذي بني في نهاية القرن الخامس عشر، ومسجد السراي الحمراء الذي يرجع بنائه لسنة 1551-1553[8].

ب. القباب:

تنوعت اشكال واحجام القباب خلال العصور الإسلامية في المباني الدينية والمدنية والحربية على حد سواء [9] ، فقد احتوت مساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة على قباب نصف دائرية غطي بها بيت الصلاة والأروقة، وتراوحت تلك القباب من أربعة قباب إلى اثنان وأربعون قبة للمسجد الواحد.

شكل (2): قباب جامع السراي الحمراء
عن (ابوخطوة،2017).

شكل (3): قباب جامع الناقة
عن (ابوخطوة،2017).

المساجد التي غطت بأربع قباب هي جامع بن نور، وجامع النخلي، وجامع محمود حيث يعد أكبر المساجد في ليبيا المسقوفة بأربع قباب، في حين إن المساجد التي غطت بستة قباب هي جامع بن مقيل، وجامع بن صوان، وجامع سالم المشاط، ومسجد السراي الحمراء [10] شكل (2)، بينما جامع الدروج غطي بتسعة قباب نصف دائرية، لاسيما إن جامع شائب العين غطي بستة عشر قبة، وازدادت عدد القباب إلى الضعف في جامع درغوث باشا فوصل عدد القباب إلى اثنان وثلاثون قبة، في حين وصل عدد القباب في جامع الناقة [11] إلى اثنان واربعون قبة نصف دائرية شكل (3)، وهو أكبر عدد من القباب التي ظهرت في مساجد المدينة القديمة بطرابلس [12]

ج. العقود

تعددت واختلفت أنواع وأشكال العقود في مباني العمارة الإسلامية، وذلك حسب كل عصر وكل اقليم من الأقاليم الإسلامية [13]، واستخدمت العقود على نطاق واسع في المساجد وملحقاتها المعمارية [14]، ومن أهم أنواع العقود العقد النصف بيضاوي، والعقد المستقيم، والعقد نصف الدائري، والعقد حذوة الفرس، والعقد المذبب، والعقد المقرنص، والعقد المفصص، والعقد البصلي [15].

أما مساجد العهد العثماني الأول في مدينة طرابلس القديمة فقد استخدم فيها العقد النصف دائري في جامع الناقة شكل (4)، وجامع سالم المشاط، في حين استخدم العقد نصف الدائري المذبب في جامع درغوث باشا، أما العقد حذوة الفرس فقد شاع استخدامه في مساجد هذا العهد فقد وجد في جامع شائب العين شكل (5)، وجامع الدروج، وجامع محمود خازندار، وجامع النخلي، وجامع بن صوان، وجامع السراي الحمراء، وجامع بن مقيل، ويعد العقد حذوة الفرس أكثر شيوعا واستخداما في منطقة المغرب العربي والأندلس وهو يمتاز بجماله واناقته.

شكل (4): عقود جامع الناقة. المصدر (تصوير الباحثان)

شكل (5): عقود جامع شائب العين. المصدر (تصوير الباحثان)

د. بيت الصلاة:

تباينت أشكال بيت الصلاة في مساجد المدينة القديمة بطرابلس خلال العهد العثماني الأول بين الشكل المربع، والمستطيل، والغير منتظم فنجد [16] إن جامع شائب العين شكل(6)، وجامع الدروج، وجامع محمود خازندار، وجامع النخلي جميعها ظهر بيت الصلاة فيها على شكل مربع[17] ، بينما ظهر الشكل المستطيل في جامع سالم المشاط، وجامع بن صوان، وجامع بن نور، وجامع الناقة شكل (7)، ومسجد السراي الحمراء، في حين ظهر الشكل الغير منتظم شكل(8) في جامع درغوث باشا فقط [18]

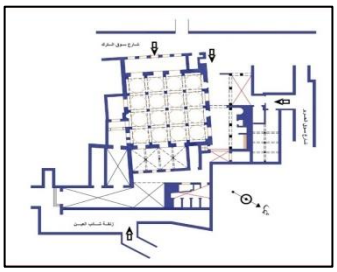

شكل (6): مخطط جامع شائب العين المصدر (عمل الباحث)

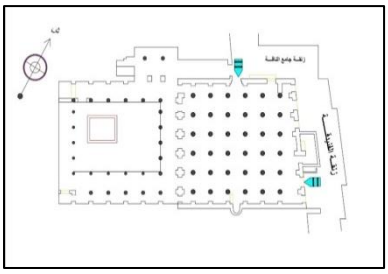

شكل (7): مخطط جامع الناقة

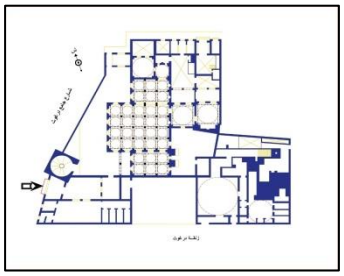

شكل (8): مخطط جامع درغوث

2. ثانيا: الأنماط الزخرفية لمساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول

تُعتبر الأنماط الزخرفية بأنواعها المختلفة كالزخارف النباتية المتمثلة في تنوع الأزهار والأغصان والأوراق النباتية، بالإضافة إلى الزخارف الهندسية وأشكالها المتعددة، لاسيما الزخارف الكتابية وخطوط الكتابة المتميزة للفنان والخطاط المسلم [19] وتنوعت هذه الأنماط خلال العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة من مسجد لأخر وذلك نظرا لمساحة المسجد، وكتلته البنائية، هذا التنوع والاختلاف الذي سبق ذكره كان أحد أبرز القيم الجمالية في فن العمارة والفنون الإسلامية عامة وفي مدينة طرابلس القديمة خاصة، كما كان تعبيرًا عن التنوع الحضاري، والثقافي، والتاريخي لسكان مدينة طرابلس.

أ. الزخارف النباتية والهندسية:

حمل المدخل الخارجي لجامع درغوث باشا زخارف نباتية متداخلة ومتشابكة مع بعضها البعض ونفذت بطريقة الحفر البارز، وهي في غاية الروعة والجمال، ويحيط بهذه الأشكال الهندسية شريط زخرفي مجدول، بالإضافة لبلاطات القاشاني التي نفذت على باطن المحراب[20] ، في حين إن مدخل جامع شائب العين الرئيسي زخرف بزخارف نباتية عبارة عن ثلاث زهرات نفذت بطريقة الحفر البارز، وكذلك زخارف نباتية متراصة بطريقة طولية ولا يوجد فراغات بينها، كذلك ظهرت في جامع درغوث باشا زخارف نباتية متمثلة في ستة وردات نفذت هي الأخرى بطريقة الحفر البارز شكل ، وكان شكل هلال المقفل على شكل دائرة شكل (9) يتوج مدخل الباب الرئيسي[21].

شكل (9): مدخل جامع شائب العين.
المصدر (تصوير الباحثان)

شكل (10): الباب الخشبي لجامع شائب العين.
المصدر (تصوير الباحثان)

لاسيما إن ألواح القاشاني ظهرت على نوعين الأول: عبارة عن تجميعة رباعية تتكون من عناصر نباتية ظهرت بعدة ألوان وهي: الأخضر، والأزرق، والأصفر، والأبيض، على أرضية بيضاء، والنوع الثاني: عبارة عن تجميعة رباعية تتكون من زخارف هندسية تتمثل في دوائر متداخلة وبها زخارف دقيقة [22].

كما إن الجزء الأوسط من الباب الخشبي الرئيسي للجامع شكل (10) شغله شجرة سرو واحدة محاطة بزخارف نباتية تتألف من أزهار، وبعض الأوراق المتشابكة، كما أن زخارف هذا الباب منحوتة بالنحت الأكثر بروزا من زخارف الباب الحالي[23] والجدير بالذكر فإن أوراق الشجر المتشابكة قد شغلت مكانة كبيرة في الفن الزخرفي العثماني وخاصة مع فنون تزيين صفحات المصاحف، وهوامش صفحات المخطوطات، كما ظهرت الفروع النباتية وأوراقها في الزخارف المعمارية وغيرها وذلك لملأ الفراغ والمساحات الكبيرة الواسعة من الأسطح [24].

جدير بالذكر فإن الجزء السفلي من المدخل ظهرت عليه زخرفة متمثلة في زهرة عباد الشمس في داخل مربع، [25] وتحيط بها زخارف نباتية متشابكة، أما الجزء الأوسط فقد ظهرت عليه ثلاث أشجار السرو داخل شكل مربع، وتحيط بها زخارف نباتية متشابكة، في حين نجد أن الجزء العلوي من الباب الخشبي قد ظهر في منتصفه شكل الهلال، ويحيط به وردات، وكل منها تتكون من خمس بتلات نفذت بعملية التكرار، وناهيك عن ذلك فإن الباب الخشبي قد غطى سطحه بالكامل بزخارف نباتية دقيقة، كما ظهر إطار زخرفي بارز حول الأشكال الهندسية المقسمة لكل جزء، حيث زخرفت بوريدات صغيرة الحجم لتتناسب مع مساحة الإطار الزخرفي الذي لا يتعدى 15سم، ويعتبر هذا الباب الخشبي من أجمل الأبواب الخشبية لمداخل مساجد المدينة القديمة بطرابلس[26].

كما أحتوى الإطار الرخامي العلوي على زخارف نباتية وهندسية غائرة ففي المنتصف يوجد شكل دائرة وبداخلها نجمة ثمانية أو ما يعرف بزخرفة الأطباق النجمية [27] وتتوسطها وردة بينما على الجانبين الأخرين يوجد شكل جامة (وهي مساحة منقوشة بيضاوية أو مستديرة في وسط النقوش الإسلامية) [28] بداخلها زخارف نباتية، كما ظهرت زخرفة الأطباق النجمية على عدة مداخل بجامع شائب العين.

من زاوية أخرى فإن جامع الدروج حمل زخارف نباتية صورة تتمثل في ثلاث زهرات تتكون من خمس بتلات، تحيط بها أوراق ملتوية وكأنها داخل جامة، ونفذت هذه الزخارف بطريقة مكررة، كما أن أوراق الأزهار ظهرت بخطوط منحنية، وبين كل جامتين يوجد نحت وردة من نفس الوردات السابقة في اتجاه متقابل، كما كُسيت كوشتا عقد المدخل ببلاطات من القاشاني الملون شكل (11)، وظهر عليها أشكال مربعات ومستطيلات ونجوم وظهرت بألوان الأخضر، والأزرق، والبرتقالي، على أرضية بيضاء اللون.

شكل (11): زخرفة كوشتي عقد المدخل بجامع الدروج المصدر (تصوير الباحثان).

لابد من الإشارة إلى أن جامع محمود خازندار ظهرت به زخارف على هيئة ورق نخيل في كوشتي عقد المحراب، بالإضافة إلى بلاطات القاشاني ذات لون واحد [29] وظهر في منتصف كوشتي عقد المدخل هلال ونجمة خماسية.

حري بنا التطرق إلى جامع النخلي حيث احتوت كوشتي العقد على بلاطات من القاشاني شكل (12)، وتتألف كل بلاطة من زهرة بخمسة بتلات، مع أوراق الساز المشرشرة، ويحيط بها مربعات صغيرة، وظهرت هذه الزخرفة بلون واحد وهو الأزرق على أرضية بيضاء اللون، ويعلوا كوشتي العقد في جامع بن صوان شكل نجمة في كل جانب، ويتوسطهما شكل الهلال وبداخله نجمة خماسية.

شكل (12): زخرفة القاشاني في كوشتي عقد مدخل جامع النخلي المصدر (تصوير الباحثان).

لقد زخرف منبر جامع الدروج بجامة بيضية الشكل على ارضية ارجوانية اللون، كما زخرف المدخل الرئيسي بزخارف نباتية بألوان متعددة وهي الأخضر، والأزرق والبرتقالي، والأبيض، والأسود، والبني، بالإضافة إلى ظهور عنصر الهلال والنجمة في أعلى المدخل، هذا وقد علت كوشة عقد المدخل الرئيسي لجامع بن مقيل على زخارف من بلاطات القاشاني حيث تتكون البلاطة من زخرفة زهرة متعددة البتلات وبها ثلاث أوراق من الساز.

تماشيا مع ما تم ذكره فإن مسجد السراي الحمراء احتوى على زخارف نباتية على بلاطات من القاشاني، ويحدها من الخارج شريط أسود اللون من القاشاني ايضا شكل (13)، وتتمثل الزخارف في أوراق نباتية [30] في اتجاهات مختلفة باللون البرتقالي، ويتوسط كل ورقة اللون الأزرق الفاتح، في حين أن زخرفة الأركان العلوية احتوت على شكل نجمة خماسية داخلها باللون الأحمر القاتم، وأرضية هذه الزخارف باللون الأبيض، ويتوسط كوشة العقد شكل هلال وبداخله نجمة باللون الأصفر.

شكل (13): زخرفة كوشة العقد لمدخل جامع السراي الحمراء المصدر (تصوير الباحثان).

ب. الزخارف الكتابية واللوحات التأسيسية:

يتجلى روعة وقمة الفن الإسلامي في فن الخط وأنواع الخطوط وتنوعها [31]، ومن أبرز الخطوط الخط الكوفي، وخط النسخ، وخط الحجازي، والخط الريحاني، وخط الرقعة، وخط الثلث، والخط المحقق ولكل نوع من أواع هذه الخطوط قواعده واسلوبه في الكتابة [32] ظهرت العديد من الكتابات على مساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة مثل خط المغربي، والثلث الجلي، إلا أن معظمها اتفقت في نوع الخط المنفذ عليها وهو خط الثلث المغربي.

إن أجمل ما يميز مدخل جامع سالم المشاط هو المقبض الدائري النحاسي المنقوش بزخارف كتابية شكل (14) حيث حملت جزء من الآية (40) من سورة النمل نصها كالتالي: (... هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي...)، وهذه الكتابة على ثلاث صفوف عمودية ويبدأ نص الكتابة من أسفل إلى أعلى:

شكل (14): المقبض الدائري النحاسي للباب الخشبي لجامع سالم المشاط. المصدر (تصوير الباحثان).

يعلوا مدخل جامع النخلي لوحة تأسيسية كتبت بالخط المغربي ونفذت هذه الكتابة على الحجر الجيري بطريقة الحفر الغائر على أرضية بيضاء اللون، أما جامع الدروج فقد زخرفت القبة الوسطى بشريط من الكتابة بخط النسخ باللون الأبيض على ارضية خضراء، كما زخرفت الشرفة الخشبية المقابلة لبيت الصلاة بزخارف ملونة من الزهور وتوريقات ملونة، ويعلوا عقد المدخل الرئيسي شريط كتابي كتب بالخط المغاربي القديم، صورة (2.42)، وهو بيت من قصيدة البردة للإمام البُصيري تقول (ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقاه الأسد في أجامها تجم) ومعنى ذلك من يكون ملازم بالصلاة والسلام على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا يخشى حتى الأسود، وحتي عندما يلتقي بالأسود وهي في (اجامها) أي في مرابطها فهي (تجم) أي تسكن وتلتزم الهدوء لأنه ملازم دائما بالصلاة والسلام على رسول الله فتفر الأسود من أمامه.

مناقشة النتائج:

تضح من نتائج الدراسة إن مساجد مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول تأثرت بمجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أسهمت في توجيه العملية المعمارية والزخرفية، حيث أدت هذه الظروف إلى تشجيع تطوير أساليب وتقنيات جديدة في بناء المساجد وتزيين مداخلها، ويعكس ذلك حالة من الحراك العمراني المرتبط بازدهار المدينة وتنامي دورها التجاري والثقافي، الأمر الذي انعكس على العناية بالواجهات والمداخل والمآذن والقباب والعقود بوصفها عناصر تعبيرية تحمل دلالات رمزية واجتماعية إلى جانب وظيفتها المعمارية.

ففي هذا السياق تكشف نتائج الدراسة عن تباين واضح في ارتفاعات المآذن، إذ تراوحت بين 10 أمتار في جامع الناقة و22.30م في جامع محمود خازندار، وهو تفاوت يعكس اختلاف الإمكانات المادية للمؤسسين، إضافة إلى تباين الوظيفة الرمزية للمئذنة ودورها البصري في النسيج العمراني، كما لوحظ أن مآذن السلم جاءت بارتفاعات أقل، تراوحت بين 3.50م بجامع بن صوان و5.40م بجامع الدروج، وهو ما يشير إلى اعتماد حلول معمارية عملية تتلاءم مع طبيعة المساجد الصغيرة أو ذات المساحات المحدودة فضلاً عن ارتباطها بالاعتبارات الإنشائية والاقتصادية.

تتوافق هذه المعطيات السابقة مع ما توصلت إليه الدراسة بشأن تغطية المساجد بالقباب نصف الدائرية حيث تنوع عددها من أربع قباب في مساجد بن نور والنخلي ومحمود خازندار إلى اثنتين وأربعين قبة في جامع الناقة، ويعكس هذا التنوع اختلاف أحجام المساجد واتساع بيوت الصلاة، كما يشير إلى شيوع نظام تغطية الأسقف بالقباب الصغيرة بأعتبارها أحد أبرز السمات والملامح المعمارية البارزة خلال هذه الفترة لما لها من خاصية لتلطيف درجات الحرارة داخل المسجد فضلاً عن إسهام القباب في تحقيق الإيقاع الصوتي والبصري داخل الفضاء الداخلي للمسجد.

أوضحت الدراسة من الناحية الإنشائية اقتصار استخدام العقود على ثلاثة أنواع رئيسية هي العقد حذوة الفرس، والعقد نصف الدائري، والعقد نصف الدائري المذبب، مع الأعتماد الواضح على العقد حذوة الفرس، ويعكس هذا الانتشار استمرار التأثيرات المعمارية الإسلامية المحلية والأندلسية المغاربية إلى جانب ملاءمة هذا النوع من العقود للوظائف الإنشائية والزخرفية في آن واحد، حيث يجمع بين القوة الإنشائية، والمرونة الجمالية للعقد الأمر الذي يفسر لنا كثافة استخدامه في مساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس.

أما من الناحية التخطيطية فقد أظهرت النتائج تنوع أشكال بيت الصلاة بين المخطط المربع والمستطيل وغير المنتظم مع شيوع الشكل المستطيل في مساجد العهد العثماني الأول، ويشير ذلك إلى مرونة في التخطيط المعماري وذلك استجابة لطبيعة قطع الأراضي داخل النسيج العمراني المتراص للمدينة القديمة، كما يعكس الشكل المستطيل توجهاً عملياً يتيح استيعاب أكبر عدد من المصلين، إضافة إلى سهولة تنظيم صفوف الصلاة وتوجيهها نحو القبلة للصلاة.

فيما يتعلق بالجانب الزخرفي فقد بينت الدراسة أن معظم مساجد العهد العثماني الأول حملت زخارف نباتية وهندسية وكتابية، وهو ما يدل على التنوع الزخرفي واعتماده على عناصر تقليدية ذات دلالات جمالية، ويبرز هذا التنوع أيضاً في الألوان المستخدمة حيث ظهرت الزخارف بعدة ألوان منها الأخضر والأزرق والأصفر والأبيض والبرتقالي والأسود والبني والأرجواني، الأمر الذي يعكس ثراءً لونياً متميزًا يسهم في إضفاء نشاطًا بصريًا على الفضاءات الداخلية للمساجد.

كشفت الدراسة عن تنوع واضح في الزخارف النباتية، والتي شملت الأوراق المتشابكة وزهرة عباد الشمس وأشجار السرو والأطباق النجمية والأزهار والجامة وأوراق الساز المشرشرة، وهو تنوع يعكس تأثر الزخرفة المحلية بالموروث العثماني مع استمرار حضور العناصر التقليدية المغاربية، ويؤكد ذلك وجود تداخل أسلوبي بين الطابع المحلي والتأثيرات الوافدة، مما أسهم في تشكيل هوية زخرفية مميزة لمساجد طرابلس خلال هذه الفترة.

تجدر الإشارة إلى أن جامع سالم المشاط يُعد الحالة الوحيدة التي حمل فيها مقبض الباب الخشبي نقوشاً كتابية، وهو ما يمثل خصوصية فنية نادرة تعكس عناية خاصة بالتفاصيل المعمارية الصغيرة، كما يدل على توظيف العنصر الوظيفي بوصفه حاملاً للقيمة الزخرفية والكتابية في آن واحد، وتؤكد هذه الكتابة على مقبض الباب الخشبي على توجه المعمار في العهد العثماني الأول نحو توسيع نطاق الزخرفة ليشمل مختلف العناصر المعمارية، وليس فقط الواجهات أو العناصر الرئيسة للمسجد الأمر الذي يعكس تطوراً في الفكر الزخرفي وتكامله مع البنية المعمارية للمسجد خلال العهد العثماني الأول.

الخاتمة

تمكنت الدراسة من الرد والإجابة على الأسئلة المطروحة وبالتالي تحققت الأهداف التي وضعت من أجلها هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي وبالتالي أثبتت الدراسة أن مساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس القديمة لها أنماط معمارية وزخرفية متميزة من خلال وجود المآذن، والقباب، والعقود وبيت الصلاة والزخرفية واللوحات التأسيسية مما ساعد الباحثان على تحليل وتوليف الأنماط المعمارية والزخرفية للمساجد خلال العهد العثماني الأول.

النتائج:

- شجعت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة طرابلس القديمة خلال العهد العثماني الأول على تطوير أساليب وتقنيات جديدة في بناء المساجد وتزيين مداخلها.
- أثبتت الدراسة أن مساجد العهد العثماني الأول تراوح ارتفاع المآذن من 10 أمتار في جامع الناقة إلى 22.30م في جامع محمود خازندار، بينما مآذن السلم تراوح ارتفاعها من 3.50 بجامع بن صوان، إلى 5.40م بجامع الدروج.
- توصلت الدراسة إلى أن مساجد العهد العثماني الأول غطيت بقباب نصف دائرية وتراوح عددها من اربعة قباب بجامع بن نور، والنخلي، ومحمود خازندار، إلى اثنان وأربعون قبة بجامع الناقة.
- بينت الدراسة أنه تم استخدام ثلاثة أنواع فقط من العقود في بناء مساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس وهي العقد حذوة الفرس، والعقد النصف دائري، والعقد النصف دائري المذبب، إلا أن العقد حذوة الفرس كان الأكثر استخداما.
- توصلت الدراسة من الناحية المعمارية التخطيطية إلى أن مساجد العهد العثماني الأول تنوعت أشكال بيت الصلاة بها بين المربع، والمستطيل، والغير منتظم إلا أن أغلبها كان مستطيل الشكل.
- حملت معظم مساجد العهد العثماني الأول على زخارف نباتية أو هندسية أو كتابية.
- يعد جامع سالم المشاط الوحيد خلال العهد العثماني الأول الذي حمل مقبض الباب الخشبي له على نقوش كتابية.
- ظهرت زخارف مساجد العهد العثماني الأول بمدينة طرابلس بعدة ألوان وهي: الأخضر، والأزرق، والأصفر، والأبيض، البرتقالي، الأسود، البني، الأرجواني.
- تنوعت الزخارف النباتية فمنها الأوراق المتشابكة، زهرة عباد الشمس، أشجار السرو، الأطباق النجمية، الأزهار، الجامة، أوراق الساز المشرشرة.

التوصيات:

- على الجهات المعنية بالحفاظ على التراث الثقافي في مدينة طرابلس القديمة اتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ على هذه المساجد والحفاظ على جمالياتها وتاريخها المعماري.
- صيانة وترميم مساجد العهد العثماني الأول بشكل دوري للمحافظة على انماطه المعمارية والفنية.
- العمل على إقامة الندوات وورش العمل لبث الوعي بين شرائح المجتمع الليبي.

المقترحات:

- عمل كتيبات ومطويات للتعريف بأهمية الأنماط المعمارية والفنية لمساجد المدينة القديمة بطرابلس.
- إنشاء فرق ليبية وأجنبية للمساهمة في صيانة وترميم مساجد العهد العثماني الأول بالطرق العلمية الحديثة.
- إجراء دراسات علمية مستفيضة حول تفاصيل الأنماط المعمارية والفنية بمساجد مدينة طرابلس القديمة بشكل أعمق وأدق.

المراجع:

[1] فيرو، شارل. (1994). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي.ليبيا/ بنغازي، منشورات جامعة بنغازي. ص 533-534
[2] AL-Ubaidi ،S. J. A. (2021) "Architectural elements & their Functional and aesthetic role in Arabic architecture in the Islamic era Asst." ،Adab Al-Kufa Journal, No. 48, pp724–695. p698
[3] البلوشي، علي. (2009) تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ليبيا. ص104
[4] الولي، طه. (1988). المساجد في الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت. ص243
[5] المرخية، ابوراوي. والخازمي، محمد. (2024). المسجد الليبي بين الأصالة والتأثير خلال العصر العثماني ي في ليبيا مدينة طرابلس القديمة وضواحيها أنموذجا (1551م-1911م) مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. (عدد خاص بالمؤتمر). ص155
[6] الخازمي، محمد. (2026). المآذن الليبية خلال العصر العثماني من سنة (1551-1911).جمهورية مصر العربية/القاهرة، مركز التاريخ العربي للنشر. ص211
[7] شقلوف، مسعود و ابوحامد، محمود وعبد النبي، صالح و النمس، محمود و عبد الرحمن، أحمد و مصطفى، محمد. (1980). موسوعة الأثار الاسلامية في ليبيا. ج1. طرابلس. الدار العربية للكتاب. ص64

[8] البلوشي، علي. (2009) تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ليبيا. ص126
[9] الباشا، حسن. (1999) موسوعة الأثار والفنون الإسلامية. اوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع. ص178
[10] الخوجة، خليل. (2004). إطرابلس القديمة تاريخ وحضارة. طرابلس. إصدارات مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة إطرابلس. ليبيا. ص ص15-20
[11] سويد، امدللة. (1992) جامع الناقة بطرابلس- دراسة معمارية. مجلة آثار العرب. العدد (4).122-121.
[12] الفار، عادل. (2001). مساجد القبيبات بمدينة طرابلس القديمة (ليبيا) في العهد العثماني الأول 1123-958هـ/1711-1551م. جامعة اليرموك. الأردن. ص58
[13] كنعان، هنادي. (2010). الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس"دراسة تحليلية". جامعة النجاح. ص28
[14] جودي، محمد. (1998) العمارة العربية الإسلامية: خصوصيتها، ابتكاراتها. جماليتها. الأردن. دار المسيرة للنشر. ص83
[15] كريزويل، ك. (1984). الآثار الاسلامية الأولى. دمشق. دار قتيبة. ص166
[16] Kuran ،A. (2009) The Mosque in Early Ottoman Architecture. p448
[17] انويجي، أبراهيم. (2004). المساجد الإسلامية في المدينة القديمة بطرابلس في العهد العثماني الأول من (1551 – 1711). جامعة المرقب. ليبيا. ص133
[18] المرخية، ابوراوي والخازمي، محمد. (2024). المسجد الليبي بين الأصالة والتأثير خلال العصر العثماني ي في ليبيا مدينة طرابلس القديمة وضواحيها أنموذجا (1551م-1911م) مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. عدد خاص بالمؤتمر.142-168. ص154
[19] ذنون، أحمد.(2010) "السمات المحلية في العمارة الإسلامية". المجلة العراقية للهندسة المعمارية، (6). ص.ص. 234–255.
[20] حامد، سعيد. (1978) المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بمدينة طرابلس. طرابلس، مصلحة الأثار. ص37
[21] أولجان، علي. (1991) مجمع الريس درغوث المعماري بطرابلس الغرب. مجلة آثار العرب. طرابلس. ص77
[22] ميسانا، غاسبري. (1973). المعمار الإسلامي في ليبيا. دار الجيل. بيروت. ص82
[23] البلوشي، علي. (2009) تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ليبيا. ص 326-327
[24] الشريف، عبد الله والسويح، اسماعيل والباجقني، محمد والأسطى والقرماللي، محمد و الخوجة، محمد. (1973). بلدية طرابلس في مائة عام 1286-1391هـ.طرابلس. ليبيا. ص71
[25] البلوشي، علي. (2009) تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ليبيا. ص326
[26] H. A. (2019) THE WAQF BUILDINGS IN TRIPOLI IN (1551-1711). ZGHALEI. p98
[26] Aghbayli ،A. (2016) "Geometric Patterns In Islamic decoration- A Parametric Envision of Portuguese and Azerbaijan", p170. p4
[27] الخازمي، محمد. (2008). المآذن الليبية في العصر العثماني من سنة (1551-1911). [رسالة ماجستير، جامعة المرقب]. ليبيا. ص54
[28] هاشم، عياد. (1999). فنون مدينة طرابلس المعمارية منذ القرن السادس عشر وحتى بداية القرن العشرين. مجلة آثار العرب، العدد 11–12. ص ص57-62
[29] ابوحامد، محمود. (2008) حكاية قلعة طرابلس (السرايا الحمراء). طرابلس: مصلحة الأثار الليبية. ص144
[30] Noor ،M. Z. M. & Rozali ،E. A. (2020) "Arabesque-the Islamic Art Diamond [Arabesque-Permata Kesenian Islam]" ،International Journal of West Asian Studies, (November), pp 356–348. p350
[31] Alashari،D. & Mohd Azhar Abd. Hamid (2021) "A Systematic Review on ArabicCalligraphy within Islamic Architecture" ،Ulum Islamiyyah, 33(1), pp15–1 . pp9-12
[32] Majeed ،O. A. (2020) "Characterized Islamic Art in the Framework of Calligraphy" ،International Journal of Innovation, Creativity and Change, 14(10), pp 414–397. p399

Architectural and Decorative Styles of the Mosques in the Old City of Tripoli during the First Ottoman Period (1551–1711)

Mohamed Mustafa Khazmi and Abourawi Mustafa Almarkheeyah
Al- Margeb University, Department of Islamic Archaeology, Libya

Article information

Key words
Architectural and decorative patterns/ Mosques/ the First Ottoman period/ Old Tripoli/ foundation plaques.

Received 09 05 2026,
Accepted 27 07 2026,
Available online 28 07 2026

Abstract

Mosques in Old Tripoli during the First Ottoman period featured distinctive architectural and decorative styles. This study highlights these characteristics through an analysis of their architectural design and the diversity of their ornamentation. The aim of this research is to examine the architectural and decorative patterns of the mosques of Old Tripoli during the First Ottoman period, and to assess the extent of their architectural and artistic distinction. Their key architectural elements include various ornament types—vegetal (plant) motifs, geometric designs, and calligraphic/inscriptive decoration. These decorations were executed on different materials such as stone, marble, or plaster. In addition, many of the entrances are crowned by foundation plaques containing numerous historical, economic, political, and social details relevant to that era. In terms of methodology, this study adopts the historical approach and the descriptive analytical method. Among its main findings is the identification of the architectural and artistic patterns of the mosques of the First Ottoman period in Old Tripoli. The research also corrects some texts on the foundation plaques that had previously been reported by earlier historians. Finally, this study contributes valuable information to researchers and students in faculties of archaeology, fine arts, and architecture by providing key and significant facts about the architectural and artistic patterns of the mosques of the First Ottoman period.